كلمة التّحرير:
في المقاومة .... والمقاومة المعرفيّة

" السيطرة على ثقافة شعب هي السيطرة
على أدوات تعريفه لنفسه وعلاقته بالعالم "
نغوغي وا ثيونغو- مفكّر كينيّ

تتعدّد وجوه المقاومة بتعدّد وجوه الاستعمار وأشكال الهيمنة، وتعتبر المقاومة المعرفيّة وجهًا من تلك الوجوه، بها تتصدّى الشعوب والأمم المقهورة لمحاولات هيمنة الأعداء عليها، أو للتخلّص من تلك الهيمنة الواقعة فعلا. وهي، نعني المقاومة المعرفيّة، من هذا المنظور فعل إيجابيّ، وضرورة وجوديّة في مواجهة آليات الهيمنة التي وظفها الاستعمار في العصر الحديث، وقد أدرك مبكّرا أنّ الأرض والأجساد لا تخضع، ويستمرّ خضوعُها، إلا متى خضعت العقول، وزُرع فيها الوهنُ فقبلت وضع التابع، و "دخلنت" الدونيّة، واستسلمت طوعا أو كرها، لإعادة تشكيل ذاكرتها الجمعيّة حتى اكتسبت، بعبارة مالك بن نبي، "القابليّة للاستعمار" التي هي حالة من الوعي المشوّه الذي يديم **استمرار عقليّة المستعمَر حتّى بعد زوال الاستعمار**. وهي حالة لا تكفي فيها المواجهة/ المقاومة العسكريّة وحدها؛ بل يتطلّب الأمر مقارعة المشروع الاستعماري في أخطر الساحات: ساحة المعرفة. وساحة المعرفة الاستعماريّة هذه تضجّ بسرديّات تعيد إنتاج صورة الآخر المتخلّف غير القادر على الحديث بنفسه عن نفسه وفق عبارة الباحثة الأمريكية ذات الأصول البنغالية غياتري سبيفاك، المحتاج إلى التّمدِين لأنّ تاريخه السابق على الاستعمار هو تاريخ مظلم مشتّت غير عقلاني، ولا سبيل له للانفكاك منه إلاّ باتّباع النموذج الغربي باعتباره النموذج الأوفى، أو سقف التاريخ بعبارة المفكّر المغربي عبد العروي. ولا شكّ أنّ مقاومة هذه المركزيّة الغربيّة قد جوبهت من قبل كثيرين بمقاومة على المستوى المعرفيّ، لعلّ أشهرها كتابات المفكّر الفلسطينيّ – الأمريكي إدوارد سعيد منذ عمله التأسيسيّ: الاستشراق 1978، الذي كشف فيه آليّات الخطاب الأكاديميّ والأدبيّ الغربيّ في تشكيل "الشرق" في صورة كيان سلبيّ، وغريب، وشهويّ، ولا عقلانيّ.

هكذا، فالمقاومة المعرفيّة فعل تفكيكيّ نقديّ ينخرط في قراءة مزدوجة للخطاب الغربيّ: قراءة من الداخل وأخرى من الخارج. تؤمّن القراءة الأولى فهم السرديّات الغربيّة وتفكيكها عبر كشف آليات التمويه والتزوير والإلغاء والتلاعب... وتؤمّن الثانية تأسيس رؤية بديلة تأخذ بعين الاعتبار "حقائق الذات" وهواجسها ومصالحها. وبها تستعاد الذاكرة، وتعاد كتابة التاريخ من وجهة نظر الذات فكريّا ومنهجيّا بما ينسجم مع خصوصيّتها الحضاريّة والتاريخيّة، ويتمّ إحياء اللغات واستعادة الألسن حاملةِ القيم والرموز بديلا من لغات المستعمر. وبهذا وغيره يتحقّق شرط إمكان الخروج من التبعيّة والهيمنة والاستعمار المادّيّ والرمزيّ وإبداع نموذج حضاري مقنع وفعّال يستجيب لتطلّعات الشعوب.

إنّ هذه المقاومة الفكريّة والمعرفيّة مشروع ضخم يستدعي تضافر جهود أفراد ومؤسّسات ودول، ويحتاج وقتا وصبرا غير قليلين، وتحسَب مجلّة "نقد وتنوير" نفسَها لبنة مهمّة في صرح هذا المشروع الذي يرتفع بناؤه مع كلّ عدد جديد. ولا شكّ أن هذا **العدد السادس والعشرين**، كغيره من أعداد المجلّة، لا يشذّ عن هذه الرؤية، ففيه تلاقحت العقول، فأنتجت اثنين وعشرين عملا فكريّا ونقديّا توزّعت بين الدراسات والبحوث والمقالات والترجمة وتقديم الكتب، وشملت حقولا علميّة ومعرفيّة متنوعّة. وكانت على النحو الآتي:

البحوث والدراسات: شملت البحوث والدراسات إشكاليّات عديدة منها ما هو نقديّ أدبيّ، ومنها ما هو تربويّ، ومنها ما يندرج ضمن الدراسات الدينيّة، وهي: "إشكاليّة ترجمة مصطلحات النقد الأدبي الحديث إلى العربيّة: المظاهر، والأسباب، والحلول"، و"التربية الدامجة: تقييم التجربة المغربية على ضوء بعض التجارب الأجنبية- دراسة مقارنة"، و"الأخلاق بين النصّ الدّيني والتشريع في الفكر الإسلامي المعاصر من خلال "التفسير القرآني للقرآن ""، و"تأثير الفكر اليهودي على الفكر الإسلامي من خلال مقارنة بين الفكر القرائيّ والفكر الظاهريّ".

المقالات: انصرفت المقالات إلى معالجة قضايا لغويّة وأدبيّة وأخرى حضاريّة وسوسيولوجيّة، على النحو الآتي: "أفعال الكلام بين القديم والحديث والطرح الجديد، أطروحة أ. "خالد ميلاد" أنموذجا"، و"الاستعارة مدخلا مشكّلا للهزليّ"، و"تفكيك الخطاب الجندريّ في الأدب النّسويّ العُمانيّ رواية "دلشاد" لبشرى خلفان نموذجا""، و"مماتنة امرئ القيس وعبيد بن الأبرص: قراءة أسلوبية مقارنة"، و"نظرية الأغراض عند توماشفسكي"، و "التناص وبناء المعنى في الخطاب الشعري عند الناقد مفتاح قراءة من منظور نقد النقد"، و"جسد المقدّس: النّصّ الصّامت في طقوس التّعبير"، و "مُمْكِنَاتُ الأخلاق العَالَمِيَّةِ: وجهة نظر إسلاميّة"، و"الهجرة المناخية: روابط الضعف والتغير الاجتماعيّ مقاربة سوسيولوجيّة"، و"الشيخوخة والتكنولوجيا الرقمية: نحو عالم أكثر شمولاً لكبار السن"، و "تحولات السلطة الرمزية في الصف المدرسي: من الانضباط التربوي إلى الانفلات المراقَب"، و"الإصلاح التربوي بالمعهد الموسيقي المغربي: مقاربات سوسيولوجيّة للموسيقى".

الترجمة: كان من نصيب الترجمة أربعة نصوص مرجعيّة في الفلسفة والإبداع والدراسات الحضاريّة، وهي: "النّضال الفلسفي "تأليف: Claire Dodeman، و"كوفيد-19، ومجتمع المخاطر العالمي، وتحول الدولة"، و"تأثير الذكاء الاصطناعي على الإبداع الأدبي والنقد: الاتجاهات الناشئة والتداعيات"، و "هل البيانات مادية؟ نحو علم اجتماع بيئي للذكاء الاصطناعي"

تقديم كتب: كان ختام العدد بتقديم لكتابين مهمّين صدرا حديثا، هما: دراسة تحليليّة لكتاب "التربية الأخلاقيّة في الفلسفة الكانطيّة " للدكتور علي أسعد وطفة، و"الدّولة الهجينة: أو حين تنوء الدّولة القطريّة بتاريخها " د. علي الصّالح مولى.

مدير التحرير

د. امبارك حامدي